محمد الهادى حارش

ثورة تاكفاريناس
(17 ـ 24م)

يذكر تاكيتوس أن تاكفاريناس عمل في صفوف الجيش الروماني قبل أن يفر منه ويعلن الثورة متبعا أساليب الرومان في القتال بادىء الأمر مقسما جيشه إلى مشاة وفرسان (1).

ورغم أن تاكيتوس لم يذكر الدواعي التي دفعت تاكفاريناس إلى مغادرة الجيش الروماني واعلان الثورة، غير أنه يبدو أن السياسة الرومانية تجاه مواطنيه كانت وراء ذلك، بدليل الصلات الديبلوماسية التي أقامها تاكفاريناس مع القبائل المجاورة قبل اندلاع هذه الثورة :

ـ التحالف مع المور في الغرب والكنتيين في الشرق. هذا اضافة إلى الاحساس بضرورة مجابهة سياسة الرومان التوسعية في بلاد المغرب، وهذا يتضح من اندلاع الثورة على اثر اقامة خط قابس ـ حيدة مرورا على قفصة مع اقامة مركز الفرقة الاغسطية الثالثة في حيدرة بهدف مراقبة قبائل الموزولامى والحد من تحركاتها.

كما تتجلى الدوافع الاقتصادية للثورة في النداء الذى وجهه قائد الثورة تاكفاريناس للامبراطور تبيريوس المتمثل في ضرورة اعادة الأرض إلى أصحابها مقابل ايقاف هيب الثورة. اذ يشير بعض المؤرخين إلى عمليات توزيع إلا راضي التي قام بها

الامبراطورين اكتافيوس اغسطس ومن بعده تيبروس على النازحين من ايطاليا، وهي - ربما - الأراضي التي طالب تاكفاريناس بارجاعها الى اصحابها كشرط لايقاف لهيب الثورة، وتكون بالتالي هذه المشاريع الاستيطانية من بين الاسباب التي أدت إلى اندلاع الثورة.

مراحل الثورة :

أ ـ مرحلة الاندلاع 17 ـ 20م :

بعد أن تحالف تاكفاريناس ـ كما ذكرنا سالفا ـ مع قبائل المور في الغرب والكنتيين في الشرق، وبعد أن قسم جيشه إلى فرق من المشاة وأخرى من الفرسان على مايذكر تاكيتوس، وزع القيادة ايضا بينه وبين مزيبا قائد الكنتيين، فبينما احتفظ تاكفاريناس بخيرة العناصر التي سلحها وفق الأساليب الرومانية، وأقام المعسكرات وكـون فرقا قوية ومنظمة من المشاة، كلف مزيبا وفرقه الخفيفة باتباع اسلوب الكر والفر، « حرب العصابات » الذى يجيده النوميديون ويرهق الرومان المتعودون على المعارك المنظمة، وهو ما أدهش بروقنصل افريقيا « فيريوس كاميلوس » رغم أن هذا الأخير هزم تاكفاريناس سنة 17م في ضواحي وادى المثول. وهو مادفع تاكفاريناس إلى تغير أسلوب القتال على ماتذكر المصادر، لكن نفس المصادر تسكت عن الأحداث التي جرت مابين 18 ـ 20م، فحتى تاكيتوس مصدرنا الرئيسي لهذه الثورة، يسكت عن أحداث هذه الفترة، حتى أنه يوحي لنا أن تاكفاريناس توقف عن العمل العسكرى طيلة هذه الفترة (18 ـ 20م)، وأنه لم يعد إلى العمل المسلح حتى سنة 20م، وهو فعلا ماتوحى به المصادر الكتابية، لكن المصادر المادية تدل على غير ذلك، اذ نجد في المسكوكات مايشير إلى استمرار المعارك. وهو ايضا مايفهم من استقدام الفرقة الاسبانية التاسعة إلى افريقيا في منتصف ابريل من سنة 20م، لأنه اذا كان تاكفاريناس قد أوقف العمليات العسكرية بعد هزيمته في وادى المثول سنة 17م، فما

الداعي إلى استقدام هذه الفرقة ؟ فلا نستبعد ان يكون الوضع العسكري الروماني المتردى في سنتي 18 ـ 19م وراء ذلك، فتكون بالتالي غارات تاكفاريناس المتوالية هي التي استدعت طلب الدعم.

ب ـ مرحلة القوة 20 ـ 23م :

امتازت هذه المرحلة بالاضافة إلى امتداد الثورة على نطاق واسع، بإقدام تاكفاريناس إلى مواجهة الفرق الرومانية من جهة، وتغييره المستمر لتكتيك الحرب من جهة أخرى، فمع الغارات الخفيفة التي يجيدها النوميديون، كان يلجأ إلى مهاجمة الحصون والقلاع التي كانت تضمن له الغنائم الكثيرة، فخلال هذه المرحلة دفع الانتصار في نهر « باجيدا » تاكفاريناس إلى محاصرة « تالة » القريبة جدا من مقر الفرقة الأغسطية الثالثة، ورغم تصدي الرومان لهذه المحاولة، فإن طلب الأمبراطور تبيريوس من مجلس الشيوخ تعيين خليفة لـ ليكيوس ابرونيوس بافريقيا يدل على خطورة الوضع سنة 21م، رغم سكوت تاكيتوس عن أحداث هذه السنة. أما سنة 22م فرغم أن تاكيتوس يتحدث عن احتفال يونيوس بليسوس بانتصاراته في افريقيا، لكن نص تاكيتوس التالي :

"Nam Tacfarinas, quam quam saepius depulsus, repartis intima Africace auxiliis".

يوحي بأن الرومان الذين تعرضوا لغارات تاكفاريناس لم يسعفهم النجاح، ذلك ان النصر كان إلى جانب النوميدين، أكثر مما كان إلى جانب الرومان. وتكون بالتالي هذه الانتصارات وراء ارسال تاكفاريناس لوفد إلى الامبراطور تبيريوس « يهدده باستمرار الثورة وشدتها، إن هو لم يستجب لطلب الثوار بإعادة الأرض إلى أصحابها ».